

أضواء البيان

@ 177 لك حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا { ، وفي سورة (يونس) ، في الكلام على قوله تعالى : { إِنَّ السَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةٌ رَبُّكَ لَا يُوْؤِنُونَ } الآية (01 / 69) ، وفي غير ذلك . { وَلَا يَسْتَخِفُّنَاكَ السَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ } . قد قدمنا في سورة (بني إسرائيل) ، في الكلام على قوله تعالى : { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا } ، أن الله تعالى قد بيّن في بعض الآيات القرآنية أنه يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بخطاب لا يريد به نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما يريد به التشريع .

وبيّنا أن من أصرح الآيات في ذلك قوله تعالى مخاطبًا له صلى الله عليه وسلم : { إِمَّا يَبْدُلُغَنَّاكَ الْكُبْرَ أَحَدُهُمْ أَوْ كِلَاهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَّا أُفٍّ } ، ومعلوم أن والديه قد ماتا قبل نزول : { إِمَّا يَبْدُلُغَنَّاكَ الْكُبْرَ أَحَدُهُمْ أَوْ كِلَاهُمَا } ، بزمن طويل ، فلا وجه البتة لاشتراط بلوغهما ، أو بلوغ أحدهما الكبير عنده ، بل المراد تشريع برّ الوالدين لأُمَّته ، بخطابه صلى الله عليه وسلم .

واعلم أن قول من يقول : إن الخطاب في قوله : { إِمَّا يَبْدُلُغَنَّاكَ الْكُبْرَ أَحَدُهُمْ أَوْ كِلَاهُمَا } ، لمن يصح خطابه من المكلفين ، وأنه كقول طرفة بن العبد : واعلم أن قول من يقول : إن الخطاب في قوله : { إِمَّا يَبْدُلُغَنَّاكَ الْكُبْرَ أَحَدُهُمْ أَوْ كِلَاهُمَا } ، لمن يصح خطابه من المكلفين ، وأنه كقول طرفة بن العبد : % (ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً & ; .

خلاف الصواب . .

والدليل على ذلك قوله بعد ذكر المعطوفات ، على قوله : { فَلَا تَقُلْ لَهُمَّا أُفٍّ } ، { ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ } ، ومعلوم أن قوله : { ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ } خطاب له صلى الله عليه وسلم ، كما ترى . وذكرنا بعض الشواهد العربية على خطاب الإنسان ، مع أن المراد بالخطاب في الحقيقة غيره .

وبهذا تعلم أن مثل قوله تعالى : { وَلَا يَسْتَخِفُّنَاكَ السَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ } ، وقوله : { لَتَنِينَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ } ، وقوله : { وَلَا تُطِيعُوا مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا } ، وقوله : { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا

ءاخَرَ { ، يراد به التشريع لأُمَّتِه